المورد

الفعل ينبغي .. ليس معناه : يجب

بقلم

يوسف حسين

بغداد ـ الجمهورية العراقية

شاع في السنين الاخيرة استعمال الفعل ينبغي على انه يعطي معنى : « يجب » في الصحف والمجلات والكتب المدرسية . فمثلاً في مقال واحد فقط من مجلة طبيبك العدد (١٨٧) جاء الفعل ينبغي بمعنى يجب أربع مرات ، وفي كتاب المطالعة العربية للصف الثالث المتوسط حصل مثل هذا مرتين في موضوع واحد على الصفحتين (٩و١٤) الطبعة الثانية للسنة ١٩٧١ ، وفي كتاب القراءة العربية للصف الخامس الابتدائي /الطبعة الثانية للسنة ١٩٧١ ص٦٩ س١٤ شرح المفردات : ـ ينبغي معناه يجب . ولست أدري من اي معجم أتى مؤلفو الكتاب المذكور بهذا المعنى للفعل ينبغي. بل اكثر من ذلك ، فقد استعمله استعمالاً خاطئاً كهذا الدكتور ابراهيم مدكور الأمين العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة مرتين اثنتين في « تصدير المعجم الوسيط الصادر عام ١٩٦٢ عن المجمع المذكور » اذ قال : ـ

١ ـ « ... وما المعاجم إلا أداة بحث ، ومرجع سهل المأخذ ، فينبغي أن يكون واضحاً ، دقيقاً ، مصوراً ما أمكن ، محكم الترتيب. »

٢ ـ « وقد اخذ نفسه (اي مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ كاتب البحث) بذلك منذ البداية فكون لجنة للمعجم من كبار اللغويين العرب والمستعربين ، وسارعت هذه اللجنة الى تحديد الخطة ورسم المعالم الرئيسية (هذا خطأ والصواب : الرئيسة ـ كاتب البحث) لما ينبغي أن يكون عليه المعجم المجمعي في القرن العشرين . »

ولو انك حذفت الفعل ينبغي من هذين الموضعين وجعلت يجب في مكانه لبقي الكلام دون اختلال ، وهذا يعني أن الدكتور مدكور أراد بالفعل ينبغي الفعل يجب .

هل ازيدك ؟ لا بأس ، لقد حصل مثل هذا الخطأ في نصوص (قانون مجمع اللغة العربية بالقاهرة) اذ ورد في احد بنوده : « ...وذلك بأن يحدد في معاجم أو تفاسير خاصة أو بغير ذلك من الطرق ، ماينبغي استعماله أو تجنبه من الالفاظ والتراكيب . »

ان احد معاني ينبغي : « يصح » وانت ـ على هذا ـ تستطيع أن تردني بقولك : لو حذفنا ينبغي من عبارة قانون المجمع ووضعنا بدلاً منه يصح لما اختلت العبارة بصيرورتها : ـ « ... ما يصح استعماله أو تجنبه من الالفاظ والتركيب » .

في مثل هذه الحالة لا املك الا ان ارد بقولي : سلامة الذوق تفرض أن ينبغي هنا معناه يجب وليس يصح . وسلامة الذوق في مسائل اللغة امر اعتد به مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ودليلي على صحة قولي هذا « تصدير ومقدمة » المعجم الوسيط الآنف الذكر فقد ورد فيهما شيء من هذا القبيل .

جاء الفعل ينبغي في القرآن الكريم ست مرات ليس غير واليك مواضع الورود : ـ

١ ـ سورة آل عمران ـ مريم ـ الاية (٩٢) : ـ « وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولداً »

٢ ـ سورة الفرقان ـ الآية (١٨) : ـ « قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً »

٣ ـ سورة الشعراء ـ الآية (٢١١) : « وما ينبغي لهم وما يستطيعون »

٤ ـ سورة يس ـ الآية (٤٠) : ـ « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون »

٥ ــ سورة يس ــ الآية (٦٩) : ــ « وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو الا ذكر وقرآن مبين »

٦ ــ سورة ص ــ الآية (٣٥) : ــ « قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لاحد من بعدي إنك انت الوهاب »

وانت ــ بادىء بدء ــ تلاحظ هنا أن«ينبغي» ماورد في القرآن الكريم مرة الا منفياً ، فان رأيت ان تبدي ملاحظة حول الآية الكريمة : « لا الشمس ينبغي لها .. الآية » بأن ينبغي جاء فيها مثبتاً لا منفياً كان جوابي ما ذكره العلامة الشهاب الآلوسي البغدادي في تفسيره « روح المعاني » بخصوص هذه الآية من أن النفي راجع في الحقيقة الى « ينبغي » فكأنه قيل : لا يتسهل للشمس ولا يتسخر .

ان جميع المفسرين للقرآن الكريم الذين راجعت تفاسيرهم متفقون على ان المعنى المقصود بهذا الفعل هو : ــ لا يصلح ولا يليق ولا يكون ولا يتسخر ولايتيسر ولا يتسهل ولا يحسن ولايستقيم ونحو ذلك مما لا يخرج عن معنى « لا يمكن » .

ولعلّي غير واجد بدأ من ان استثني الشيخ ابا علي الفضل بن الحسن الطبرسي صاحب تفسير « مجمع البيان » فانه قال في معرض تفسيره للآية (وما ينبغي لهم وما يستطيعون) :ــ « ... ومعنى قول العرب : ينبغي لك ان تفعل كذا انه يطلب منك فعله في مقتضى العقل من البغية التي هي الطلب ».

وهذا الذي ذهب اليه الطبرسي هنا هو ما يقودنا في المطاف الاخير الى مثل استعمال ينبغي بمعنى يجب .

اما جميع معاجم اللغة التي راجعتها فقد نصت على المعاني التي ذكرتها ولم يشذ الا الفيومي صاحب « المصباح المنير » فانه قال :ــ « وينبغي ان يكون كذا معناه : يندب ندباً مؤكداً لا يحسن تركه » .

واما الفعل : ندب ــ يندب ندباً فلاناً للامر أو الى الامر فمعناه دعاه ورشحه للقيام به وحثه عليه وهو من الباب الاول (المنجد) .

وما أتى به الفيومي موافق ــ كما ترى ــ لما ذكره الطبرسي في قليل أو كثير .

وانا اعترض بثلاثة :ــ

١ ــ لم تذهب تفاسير القرآن الكريم الى مثل هذا ولم يقل أحد من مفسري الحديث الشريف به في معرض الكلام على قول الرسول (ص) :ــ « اني والله ما انا بشاعر وما ينبغي لي » أو قال (ص) : « ولا ينبغي لي » .

٢ ــ المعاجم المعتمدة لم تذكر مثل هذا المعنى .

٣ ــ قد يقول قائل : نعم . لم يرد عن العرب انهم استعملوا انبغى ــ ينبغي بهذا المعنى ، ولكن العصور المتأخرة للدولة العباسية حصل فيها هذا الامر وبات من الضروري الأخذ به . وجوابي على هذا القول مجمل موقف مجمع اللغة العربية في القاهرة . إن المجمع كان قد قرر وضع معجم ضخم اطلق عليه اسم « المعجم الكبير » واشتغل به في العام ١٩٤٦ وجاء في مقدمته ما يأتي : ــ

(ان للغة ماضياً وحاضراً ، فلها قديمها الموروث وحاضرها الحي الناطق . ولابد أن يلاحظ ذلك في وضع معجم جديد للغة العربية ، « فيستشهد فيه بالشعر والنثر مهما يكن العصر الذي انشيء فيه ، وتثبت الالفاظ الطارئة التي دعت اليها ضرورات التطور ، وفرضها تقدم الحضارة ورقي العلم » .)

غير ان المجمع ، مع هذا النص الواضح على ضرورة اعتماد الجديد ، لم يذهب في معاني ينبغي الى اكثر مما ذهب اليه اللغويون القدامى ، ففي « المعجم الوسيط » الصادر عن المجمع في العام ١٩٦٢ تجد في مادة « انبغى » الجزء الاول ص ٦٤ مايأتي :ــ « ينبغي لفلان ان يعمل كذا : يحسن به ويستحب له . وما ينبغي لفلان ان يفعل كذا : لا يليق به ولا يحسن منه . وندر استعمال غير المضارع من هذه المادة ، واذا اريد المضارع قيل : كان ينبغي وما كان ينبغي . » هذا ما نص عليه مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

وهنا يجب أن نقف قليلا لنبدي بعض الملاحظات :

١ ــ في الظاهر ان ثمة تبايناً في موقفي ، فانا اشرت أولا الى خطأ استعمال ينبغي من قبل بعض اعضاء المجمع ثم عدت ثانياً استشهد بما نص عليه المجمع . وردّي على هذا ان لا اختلاف بين الموقفين فالخطأ حصل في التصدير والمقدمة لا في متن المعجم ومسؤولية ذاك على عاتق الكاتب ، وبيان هذا من قبيل تحصيل الحاصل .

٢ ــ لقد وقع اضطراب في عبارة المجمع المتعلقة بالفعل ينبغي حيث جاء : « وندر استعمال

غير المضارع من هذه المادة واذا اريد المضارع قيل .... الخ » .

٣ ـ المجمع يعني أن العرب لم تستعمل صيغة الماضي من هذا الفعل انبغى الا نادرا والشائع استعماله مضارعا فاذا أراد احدهم استعماله ماضيا جاء به مضارعاً مسبوقاً بـ « كان أو لم يكن » .

فقال : ـ كان ينبغي في حالة الاثبات او لم يكن ينبغي في حالة النفي .

لقد كان بعض الاساتذة الكبار في العصور الزاهية للامة العربية يعتقد ان العرب لم تستعمل « انبغى » الماضي قط وانها اقتصرت على المضارع لا غير ولكن الثابت عن اللغويين الثقات ان العرب تقول : ـ انبغى لفلان الشيء ينبغي انبغاء ، وقد استعمل سيبويه نفسه الفعل انبغى بلفظ الماضي واستعمله الامام الشافعي كثيرا ورده بعض الناس بانين ردهم على ان انبغى هو مطاوع بغى ولا يستعمل « انفعل ـ ينفعل انفعالاً » في المطاوعة الا اذا كان فيه علاج وانفعال مثل كسرته فانكسر ، وكما لا يقال : طلبته فانطلب وقصدته فانقصد ، لا يقال: بغيته فانبغى لانه لا علاج فيه .

وقيل انه سمع عن العرب : وما ينبغي ان يكون كذا اي ما يستقيم أو ما يحسن فهو فعل غير متصرف ومعنى هذا انه لا يأتي منه ماض ولا امر .

وعده ابن مالك في « التسهيل » من الافعال التي لا تتصرف . قال الالوسي : وقد غلط ابن مالك في ذلك ابو حيان .

والحقيقة ان الفعل انبغى هو مطاوع بغى ، والمطاوعة يمكن تفسيرها ببساطة بانها : قبول المفعول به لتاثير فعل الفاعل .. تقول مثلا : كسرت القلم فانكسر .

قال الزجاج : انبغى لفلان ان يفعل كذا ، اي صلح له ان يفعل كذا وكانه قال : طلب فعل كذا فانطلب له اي طاوعه .

وانبغى الشيء : تيسر وتسهل . غير ان الماضي مهجور .. فاذا ارادوه قالوا : كان ينبغي ولم يكن ينبغي وما كان ينبغي ، فهو من هذه الناحية مثل الفعل : « ودع ـ يدع ـ دع » كلاهما لايستعمل الماضي منه الا في القليل النادر جدا .

ويقال : ما ينبغي بكسر الغين (اي الحرف الاخير ياء) ويقال : ماينبغى بفتح الغين (أي الحرف الاخير الف مقصورة) ، ويقال : مايتبغّى وكل هذا معناه : لا يصح ولا يجوز ولا يحسن ولا يتيسر ولا يتسهل ولا يتسخر . وذكر الالوسي أن أبا عيسى الاسود قرأ بالبناء على المجهول الآية الكريمة : « قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان .. الآيـــة » .

قال ابن خالويه : ـ « زعم سيبويه ان ذلك لغة » . وهذا غريب جداً ويأتي «ينبغي ـ ولاينبغي» عادةفي المعاجم لتفسير قولهم:« نولك ـ وما نولك » فيقال : نولك ان تفعل كذا ومعناه : حقك وينبغي لك ان تفعله ، اي يتيسر .

ويقال : ما نولك ان تفعل كذا . ومعنـــاه : ما ينبغي لك ان تناله او تفعله اي ليس لك ذلك .

قال سيبويه : « اما نول فتقول : نولك ان تفعل كذا اي ينبغي لك فعل كذا . »

وقال الجوهري في « الصحاح » معناه : ـ حقك ان تفعل كذا واصله من التناول كانه يقول : تناولك كذا وكذا .

وقولهم : لا نولك جعلوه بدلا من ينبغي معاقباً لـه .

وقد قال الرسول (ص) : ـ « ما نول امرىء مسلم ان يقول غير الصواب أو ان يقول ما لا يعلم » . ومعنـاه : ما ينبغي لـه وما حظه ان يقـول .

وهذا يعني أن المسلم لا يجوز ان يقول الا الصواب وليس له ان يقول مالا يعلم .

وانت تلاحظ ان « ينبغي » اكثر ما يستعمل منفياً .. حتى في الحديث الشريف ورد بصيغة النفي . قيل لعائشة (رض) : هل كان رسول الله (ص) يتمثل بشيء من الشعر ؟ قالت (رض): كان ابغض الحديث اليه غير انه (ص) كان يتمثل ببيت اخي بني قيس ... الخ وهو بيت طرفة بن العبد : ـ

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبـار من لم تـزود

فكان الرسول (ص) يقول : ويأتيك من لم تزود بالأخبار . فقال ابو بكر (رض) : ليس هكذا يا رسول الله . فقال الرسول (ص) : ـ « انـي والله ما انا بشاعر وما ينبغي لي »

ان الفعل « ينبغي » المنفي بـ « لا و ما » قد جاءت معانيه مذكورة آنفا وهو سهل الاستعمال . وانا اعتقد ان صيغة النفي هي التي خلقت الالتباس وافضت ببعض الناس الى ان يستعمل ينبغي المثبت بمعنى يجب . وهنـا يحسن ايراد ينبغي

مثبتاً في جمل مفيدة لكي ينجلي لك شانه .. وهذه امثلة من كلام اعلام اللغة :ـ

١ ـ قال الآلوسي :ـ « النار ينبغي ان تحرق الثوب » وهذه الجملة معناها : يتسهل للنار ان تحرق الثوب . يتسخر لها ان تفعل ذلك. يمكن ...

٢ ـ قال الآلوسي في روح المعاني ايضا : ـ « الملك ينبغي ان يكرم العالم » . ومعنى هذه العبارة: يحسن بالملك ان يفعل ذلك .. يليق به تكريم العالم .

٣ ـ قال العلامة ابن سيده في كتابه « المحكم » ج١ ص٥٨ الطبعة ١٩٦٨ ـ البابي الحلبي واولاده بمصر : ـ « شرحبيل : اسم رجل وقيل هو اعجمي . قال ابن الكلبي : كل اسم كان في آخره إيل او إل فهو مضاف الى الله عزوجل .

وقد بينا ان هذا ليس بصحيح اذ لو صح لصرف جبريل واشباهه وذلك لانه مضاف الى إيل والى إل وهما منصرفان لانهما على ثلاثة احرف ، فكان ينبغي ان يرفعا مكان الرفع وينصبا في حال النصب ويخفضا في حال الخفض كما يكون عبدالله » .

معنى عبارة ابن سيده اللغوي الجليل : فكان يصح ان يرفعا .. فكان يجوز .. فكان يتيسر .

٤ ـ قال أبو حيان في مقدمة تفسيره (البحر المحيط) : ـ « ... منكباً في الاعراب عن الوجوه التي تنزه القرآن عنها مبينا انها مما يجب أن يعدل عنه وانه ينبغي ان يحمل على احسن اعراب واحسن تركيب » .

ومعنى عبارة ابي حيان : ـ ويحسن ان يحمل .. ويستحب ان يحمل .

ولعل قليلا جدا من الكتاب العرب المعاصرين من يعرف جيداً كيف يستعمل الفعل ينبغي سلبا وايجابا ، ومن هؤلاء عباس محمود العقاد الكاتب الحجة . كتب العقاد في جريدة الجريدة بتاريخ ١٩١٢/٧/٧ قائلا : « وما كان نابليون قوي الارادة بهذا المعنى ، ولكنه كان رجلا قوي طموح الأمل ، شديد إندفاع المطامع ، حتى لقد ينسى وهو ناهض الى أمله مالا ينبغي ان ينساه المجرب الحكيم ... الخ » .

ومعنى عبارة العقاد : مالا يصح أن ينساه الحكيم .

المراجع

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ تفسير الرازي
٣ ـ روح المعاني للآلوسي
٤ ـ تفسير الطبري
٥ ـ الكشاف للزمخشري
٦ ـ تفسير ابن كثير
٧ ـ مجمع البيان للطبرسي
٨ ـ البحر المحيط لابي حيان
٩ ـ في ظلال القرآن لسيد قطب
١٠ـ تفسير النسفي
١١ـ تفسير الجلالين
١٢ـ تاج العروس للزبيدي
١٣ـ لسان العرب لابن منظور
١٤ـ المحكم لابن سيده
١٥ـ تهذيب اللغة للازهري
١٦ـ الصحاح للجوهري
١٧ـ اساس البلاغة للزمخشري
١٨ـ المصباح المنير للفيومي
١٩ـ المحيط للفيروز آبادي
٢٠ـ المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العربية في القاهرة
٢١ـ معجم متن اللغة ـ الشيخ احمد رضا ـ المجمع العلمي العربي بدمشق
٢٢ـ مختار الصحاح للرازي
٢٣ـ المختار من صحاح اللغة ـ محمد محي الدين عبدالحميد ومحمد عبداللطيف السبكي
٢٤ـ ترتيب القاموس المحيط ـ طاهر احمد الزاوي الطرابلسي
٢٥ـ قطر المحيط ـ بطرس البستاني
٢٦ـ محيط المحيط ـ بطرس البستاني
٢٧ـ البستان ـ عبدالله البستاني اللبناني
٢٨ـ فاكهة البستان ـ عبدالله البستاني اللبناني
٢٩ـ المنجد ـ الاب لويس المعلوف
٣٠ـ الرائد ـ جبران مسعود
٣١ـ التسهيل لابن مالك ـ تحقيق محمد كامل بركات ـ رسالة ماجستير
٣٢ـ هتلر في الميزان ـ عباس محمود العقاد
٣٣ـ المطالعة العربية للصف الثالث المتوسط
٣٤ـ مجلة طبيبك العدد ١٨٧
٣٥ـ القراءة العربية للصف الخامس الابتدائي .